

أبو حاتم السجستاني وكتابه المقاطع والمبادئ

د. عادل بن أبي بكر شريف بن طاهر (برناوي)

a1444a1444a@gmail.com

الملخص

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وبعد: يتعلق علم الوقف والابتداء بالقرآن الكريم وبعلم العربية، وهو طريق لتدبر كلام الله تعالى، مما يحقق أثراً في حسن التلاوة وجودة القراءة، وهو أحد علوم القراءات، وهو من مظاهر عناية العلماء بمواضع الفصل والوصل في القرآن الكريم، ومعرفة نهايات القصص والجمل، ومعرفة الإعراب وتعلق المعاني بعضها ببعض وغير ذلك. ويهدف هذا البحث إلى التعريف بكتاب (المقاطع والمبادئ) للإمام أبي حاتم السجستاني، وذلك باتباع المنهج الاستقرائي والمنهج التاريخي، حيث تضمن ترجمة موجزة عن الإمام ومكانته العلمية، ثم تعريفاً بعلم الوقف والابتداء، بعد ذلك بيان لأهم المصادر التي نقلت عن الإمام أبي حاتم، ومعالم منهجه في كتابه، ومصطلحاته في الوقف والابتداء، وهل ذكر توجيهاً للمواضع التي نُقلت عنه؟ وكيف انتقد عليه بعض الأئمة على أقواله؟ مع ذكر بعض الأمثلة في ذلك، واتضح أن الإمام أبا حاتم لم يتناول جميع المواضع في القرآن الكريم واكتفى ببعضها.

Extract

Title of the research:

Imam Abu Hatem al-Sajstani and his book Passages and Principles.

In the name of Allah, most gracious, most merciful, thanks to Allah alone, and prayer and peace be on Our Prophet Muhammad, and yet:

The science of waqf and the beginning of the Qur'an and the science of Arabic, which is a way to manage the words of Allah Almighty, which has an impact on the good recitation and quality of reading, which is one of the sciences of reading, which is a manifestation of the scholars' attention to the positions of separation and connection in the Holy Quran, and knowledge of the ends of stories and sentences, knowledge of expression and attachment of meanings to each other and so on. This research aims to collect and study the words of Imam Abu Hatem, following the inductive and historical approach, which included a brief translation of the imam and his scientific status, and then a definition of the science of waqf and initiation, after which a statement of the most important sources quoted by Imam Abu Hatem, the features of his method in his book, his terminology in endowment and initiation, and did he mention a directive to the positions quoted about him? How did some imams criticize him for his statements? With some examples mentioned, it became clear that Imam Abba Hatem did not address all the positions in the Qur'an and was content with some of them.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فلا شك أن علم الوقف والابتداء من أشرف العلوم وأفضلها؛ لتعلقه بأشرف كتاب أنزل، فيه يُعرف كيفية أداء القرآن، أداءً يُفهم التالي والمستمع، والقارئ مأمور بإحسان الوقف والابتداء، حفاظاً على إعجاز القرآن، وعدم الوقف على المواضع التي لا يُفهم المراد منها.

وورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عندما سئل عن معنى قول الله تعالى: {أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً} [المزمل: 4] أنه قال: (الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف).⁽¹⁾ وقد نبّه الأئمة على أهميته والعناية به، فقد جاء عن الإمام أبي حاتم - رحمه الله - أنه قال: "من لم يعرف الوقف لم يعلم ما يقرأ."⁽²⁾

ومن الكتب المهمة في علم الوقف والابتداء، كتاب: (المقاطع والمبادئ) للإمام أبي حاتم السجستاني رحمه الله تعالى، وهذا المصنّف كان بين يدي المتقدمين، وهو الآن في عداد المفقود، ونقل منه الأئمة بكثرة في مصنّفاتهم، بل يكاد لا يخلو كتاب متقدم في هذا العلم من النقل عن الإمام أبي حاتم رحمه الله. وجاء هذا البحث للتعريف بالإمام أبي حاتم، وكتابه المذكور من خلال دراسة أقواله الموثوقة في علم الوقف والابتداء، والمذكورة في المصنّفات المتداولة ما بين مخطوط ومطبوع ورسائل علمية. والله أسأل أن ييسر ويعين، راجياً منه سبحانه التوفيق والسداد، فهو حسي وعليه التكلان، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهمية البحث وأسباب الاختيار:

تظهر أهمية هذا البحث في جوانب متعددة، أبرزها:

- 1- تعلقه بجانب عظيم، وهو تدبر كتاب الله تعالى، إذ الهدف الأسمى هو إشغال القلب بالتفكير والتدبر، الذي نزل القرآن لأجله، قال تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص: 29].
- 2- مكانة الإمام أبي حاتم - رحمه الله - العلمية عند علماء اللغة، وعلوم القرآن، والقراءات وغيرها.
- أهمية كتاب (المقاطع والمبادئ) عند العلماء المتقدمين - رحمهم الله - حيث لا تخلو كتبهم من النقل عنه.

(1) ينظر: الكامل في القراءات للهندي: (1/473، 273).

(2) المصدر السابق: (1/478).

- 4- أن لعلم الوقف والابتداء أثر في حسن التلاوة وجودة القراءة، فإن تعلم فن الوقف والابتداء الصحيحين، وإتقان القارئ لهما يكسب المستمع فهماً صحيحاً لكتاب الله عز وجل؛ لذلك جعله بعض الأئمة شرطاً في الإجازة، فلا يجاز أحدٌ في القراءات إلا بعد معرفة هذا العلم.
- 5- ومن فوائد تدوين هذا العلم المبارك، هو التنبيه على مواضع الفصل والوصل، ومعرفة نهايات القصص والجمل، ومعرفة الإعراب وتعلق المعاني بعضها ببعض وغير ذلك.

أهداف البحث:

- 1- رغبة الباحث في خدمة الباحثين وطلبة علم الوقف والابتداء، وذلك بتعريف الإمام أبي حاتم السجستاني رحمه الله تعالى وأقواله في هذا العلم.
- 2- بيان منهج الإمام من خلال أقواله المبثوثة في كتب الوقف والابتداء.

أسئلة البحث:

- 1- هل ذكر الإمام أبو حاتم توجيهات للمواضع التي عين فيها أنواع الوقف والابتداء أم لا ؟
- 2- كيف انتقد عليه بعض أئمة هذا العلم في المواضع التي تكلم فيها ؟

الدراسات السابقة:

- 1- بحوث: (الوقوف الواردة عن الإمام أبي حاتم السجستاني) في رسائل ماجستير من أول القرآن الكريم إلى آخره، في قسم القراءات بكلية القرآن الكريم في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.
- 2- بحث: (وقوف الإمام أبي حاتم السجستاني من خلال كتاب المكتفى للداني) جمع د. إبراهيم الزهراني.
- 3- بحث: (الوقف والابتداء لأبي حاتم السجستاني) جمعه الدكتور/ محمد جمعة الدبري.
- بحث: (أبو حاتم السجستاني حياته وآثاره) للدكتور/ أبي الحسن الخطيب.

خطة البحث

وقسمت البحث إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يشتمل على مقدمة البحث، وأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، وأسئلة البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

القسم الثاني: ينقسم إلى ثلاثة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: ترجمة موجزة عن الإمام أبي حاتم السجستاني - رحمه الله - وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، ومولده، ونشأته.

المطلب الثاني: بعض شيوخه وتلاميذه.

المطلب الثالث: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه، وبعض آثاره.

المبحث الثاني: تمهيد في علم الوقف والابتداء وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الوقف لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف الابتداء لغة واصطلاحاً.

المبحث الثالث: مصادر الوقف والابتداء عن الإمام أبي حاتم السجستاني ومعالم منهجه وأقسامه وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أشهر المصادر التي نقلت مسائل الوقف والابتداء عن الإمام أبي حاتم.

المطلب الثاني: معالم منهجه في الوقف والابتداء.

المطلب الثالث: مصطلحات الوقف والابتداء عند الإمام أبي حاتم.

ثم الخاتمة، ثم فهرس المراجع، وفهرس الموضوعات.

المبحث الأول: ترجمة موجزة عن الإمام أبي حاتم السجستاني - رحمه الله -

المطلب الأول: اسمه، ومولده، ونشأته ووفاته.⁽¹⁾

اسمه: هو: الإمام العلامة: سهل بن محمد بن عثمان، أبو حاتم السجستاني، الملقب بالمقرئ، المفسر، المحدث، النحوي، اللغوي، الراوية، صاحب المصنفات.

مولده ونشأته:

ولد الإمام أبو حاتم في حدود سنة 165هـ، وعاش نحو تسعين عاماً.⁽²⁾ وعاش في عهد الدولة العباسية، وذلك أيام خلافة المهدي، ثالث خلفاء الدولة.

وطلب العلم بالبصرة، فاختلف إلى علماء وقته على اختلاف مناحيهم، وهم ثلثة من المقرئين، والمحدثين، والمفسرين، والنحويين، والبصرة في ذلك العهد مهد أئمة اللغة والبلغاء والأدباء، فشغف بالعلم، وجلس في حلقات العلم المنتشرة في جوامع البصرة منذ بداية طلبه للعلم، حتى نهل من علوم شتى، دل على ذلك مصنفاته، ومن تخرج على يديه من الأئمة الكبار، وظهرت مكانته ورتبته العلمية بين أقرانه ومجتمعه، فذاع صيته في الآفاق.⁽³⁾

وكان يختم القرآن في كل أسبوع، وأمَّ الناس بالبصرة ستين سنة، فما أخطأ يوماً ولا لحن يوماً ولا أسقط حرفاً ولا وقف إلا على حرف تام، فكان متقناً لحفظه، عالماً بالمعاني، والوقف والابتداء، حسن الصوت جهوريماً.

وفاته:

وبعد حياة حافلة بالعلم والتعليم والتصنيف، توفي إمام البصرة وعالمها، سنة خمس وخمسين ومائتين فرحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنته.

المطلب الثاني: بعض شيوخه وتلامذته.⁽⁴⁾

من شيوخه:

- أيوب بن المتوكل البصري الصيّدلاني، (ت: 200هـ).

(1) انظر مصادر ترجمته: معرفة القراء الكبار للذهبي: 1/128، غاية النهاية لابن الجزري: 1/320، تهذيب التهذيب لابن

حجر: 4/257، أخبار النحويين البصريين للسيرافي: 71.

(2) بغية الوعاة للسيوطي: 1/606.

(3) زهر الآداب وثمر الألباب للحصري: 3/783، معجم الأدباء لياقوت: 3/1406.

(4) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 10/175، وغاية النهاية لابن الجزري: 1/172، وتهذيب التهذيب لابن

حجر: 4/169-172، وطبقات المفسرين للداوودي: 2/110.

- يعقوب بن إسحاق الحضرمي المقرئ البصري، (ت: 205هـ).
- أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي مولاهم البصري، (ت: 210هـ).
- أبو الحسن، سعيد بن مسعدة الأخفش، (ت: 215هـ). - الأصمعي، عبد الملك بن قُريب، (ت: 216هـ). - أبو عمر، حفص بن عمر الأزدي الدوري، (ت: 246هـ).
- ومن تلاميذه: - أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، (ت: 275هـ). - أبو محمد، عبد الله بن مسلم المعروف بابن قُتيبة الدينوري، (ت: 276هـ). - أحمد النَّسائي، صاحب السنن، (ت: 303هـ).
- أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري المفسر، (ت: 310هـ).
- أبو بكر، محمد بن إسحاق بن حُزَيْمة السلمي، (ت: 311هـ).

المطلب الثالث

مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه وبعض آثاره.

كان الإمام أبو حاتم عالماً بالقرآن ورواياته، وحروفه، ووقوفه، ورسمه، ونقطه، ألف كتاباً كبيراً في القراءات، اختار فيه لنفسه اختياراً، وقيل: من لم يقرأ باختيار أبي حاتم لم يعد قارئاً.⁽¹⁾

وكان إماماً في اللغة والشعر والغريب، حسن العلم بالعروض بارعاً، وله شعر جيد يصيب المعنى، وكان محدثاً، صدوقاً مشهوراً لا بأس به.⁽²⁾

وكان في نهاية الثقة والإتقان والنهوض باللغة والقرآن، مع علم واسع بالإعراب أيضاً.⁽³⁾ ...

قال الإمام أبو جعفر الطبري: رأيت عنده قوماً من أهل البصرة يعظمونه، ويقولون: أنت شيخنا وأستاذنا، ونحو ذلك من القول.⁽⁴⁾ وقال فيه الإمام يعقوب الحضرمي القارئ:

اسْتَمِعَ الْقُرْآنَ إِذْ يَقْرُؤُهُ سَهْلَ الْقَارِئِ زَيْنَ الْقَرَأِ.⁽⁵⁾

بعض آثاره ومصنفاته:

(1) الغاية في القراءات العشر لابن مهران: 128، إنباه الرواة للقفطي: 63/2، غاية النهاية لابن الجزري: 320/1.

(2) الثقات لابن حبان: 293/8، وتهذيب التهذيب لابن حجر: 258/4.

(3) مراتب النحويين للحلي: 80.

(4) طبقات النحويين واللغويين للزيدي: 94.

(5) الفهرست لابن النديم: 82، ووفيات الأعيان لابن خلكان: 433/2، وكشف الظنون لحاجي خليفة: 1383/2.

لقد ترك الإمام أبو حاتم - رحمه الله - مصنفات في مجالات وفنون متعددة، أغلبها تتصل بعلوم القرآن واللغة، مما يدل على سعة أفقه في الاطلاع والجمع والحفظ والرواية.

فمن ذلك: كتاب القراءات، والإدغام، واختلاف المصاحف، والنقط والشكل، والهمزة، وإعراب القرآن، وتفسير غريب ما في كتاب سيبويه من الأبنية، والفَرْق بين الأدميين وبين كل ذي روح، والفَصَاحَة، وفَعْلُثُ وَأَفْعَلُثُ، وفحولة الشعراء، وكتاب في النحو على مذهب سيبويه والأخفش، والمدنر والمؤنث، وكتاب المقاطع والمبادئ، وهو موضوع هذا البحث. (1)

المبحث الثاني: تمهيد في علم الوقف والابتداء

المطلب الأول: تعريف الوقف لغة واصطلاحاً

الوقف لغةً: قال ابن فارس: "الواو والقاف والفاء: أصل واحد يدل على تمكثٍ في شيء ثم يقاس عليه. (2) والوَقْفُ بفتح الواو وسكون القاف، مصدر قولك: وَقَفْتُ الدابة ووقفت الكلمة وقفاً.

وهذا مجاوز، فإذا كان لازماً قلت: وَقَفْتُ وقوفاً. وإذا وقفت الرجل على كلمة قلت: وَقَفْتُهُ توقيفاً. (3)" وجاءت مادة (وَقَفَ) في القرآن الكريم في أربعة مواضع. (4)

ولمادة (وَقَفَ)، معاني مختلفة فمن أهم استعمالاتها:

- الحبس: يقال: وَقَفْتُ الدار على المساكين وقفاً: إذا حَبَسْتُهَا في سبيل الله عز وجل (5). والوقف والتحسيس والتسبيل بمعنى واحد (6)

- السكت: يقال: وَقَفَ القارئ توقيفاً: علّمته مواضع الوقوف فسكت، ومنه قولهم: كَلَّمْتَهُمْ ثُمَّ أَوْقَفْتُهُمْ، أي: أَسَكَّتُهُمْ. (7)

- القطع: ففي القراءة: قطع الكلمة عما بعدها. (1)

(1) وقد فصل القول في ذكر مصنفاته د. محمد الدالي في مقدمة تحقيقه لكتاب الإمام أبي حاتم: (تفسير غريب ما في كتاب سيبويه من الأبنية)، وأيضاً د. محمد جمعة الدري، في مقدمته لكتاب الوقف والابتداء، وذكر المؤلفات المطبوعة والمفقودة، وما نُسب إلى الإمام أبي حاتم خطأً.

(2) ينظر: الصحاح للفارابي: 4/1440، معجم مقاييس اللغة لابن فارس: 6/135.

(3) تهذيب اللغة للهروي: 9/251.

(4) موضعان في سورة الأنعام [آية: 27، 30] وسورة سبأ [آية: 31]، وسورة الصافات [آية: 24].

(5) ينظر: تاج العروس للزبيدي: 24/469.

(6) تهذيب الأسماء واللغات للنووي: 4/194.

(7) ينظر: الصحاح للفارابي: 4/1440، أساس البلاغة للزحشري: 2/350.

الوقف اصطلاحاً: الوقف عند القراءة على ضربين:

الأول: معرفة كيفية النطق بالحرف أو الحركة عند الوقف، وهذه تتعلق بالقراءات، خص فيه الأئمة أبواباً مثل: باب (الوقف على أواخر الكلم) و باب (الوقف على مرسوم الخط) فهذا متعلق بجانب الأداء.

الثاني: معرفة ما يوقف عليه وما يُبتدأ به، وهذا متعلق بمعنى الآية من حيث تمامه وكفايته وعدمه، وهو المراد به في هذا البحث (2)

والمختار لتعريف الوقف والابتداء في الاصطلاح، هو قول الإمام ابن الجزري: "والوقف عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمنياً؛ يتنفس فيه عادة بنيتة استئناف القراءة؛ إما بما يلي الحرف الموقوف عليه أو بما قبله... لا بنيتة الإعراض... ويأتي في رؤوس الآي وأوساطها، ولا يأتي في وسط الكلمة، ولا فيما اتصل رسماً... ولا بُدَّ من التنفس معه". (3)

وهذا التعريف هو أجمع تعريف وأوضح دلالة؛ لكونه جامعاً مانعاً لما ذكر فيه من قيود لتحديد مفهوم الوقف في الاصطلاح والتفريق الدقيق بينه وبين السكت.

فقوله: "يتنفس فيه عادة" خرج بذلك السكت؛ فإنه قطع الصوت زماناً دون زمن الوقف من غير تنفس. وقد خرج بقوله: "بنيتة استئناف القراءة" القطع المراد به الانتهاء والإعراض عن القراءة والانشغال بأمر آخر خارج عنه، كالقطع عن الحزب أو الورد مما يشعر بانقضاء القراءة. (4)

أما ما عدا ذلك من التعريفات، فبعضها إما بيان عام للمراد من الوقف والابتداء، دون تحديد دقيق لتحديد المفهوم، وإما بيان لفائدة الوقف والابتداء، ويستفاد منها وضع التعريف.

المطلب الثاني: تعريف الابتداء لغة واصطلاحاً.

الابتداء لغةً: الابتداء مصدر ابتداء، يقال: بدأً وابتدأً بدأً وابتدأً .

والابتداء: يطلق على الشيء الذي يقع قبل المقصود، فيتناول الحمدلة بعد البسملة. (5)

وجاءت مادة (بدأ) في القرآن الكريم خمسة عشر مرة. (1)

(1) التعريفات للجرجاني: 253.

(2) ينظر: النشر لابن الجزري: 224/1

(3) المصدر السابق: 240/1.

(4) لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني: 492/2.

(5) ينظر: التعريفات للجرجاني: 7

ولمادة (بَدَأَ) عدة معان فمن أهم استعمالاتها:

- أول كل شيء: والبدء: فعل الشيء أول. يُقَال فعلته بَدْءًا، وبَدَأَ بَدْءًا .
- وبَدَأَ: في أسماء الله عز وجل المُبْدِي: هو الذي أنشأ الأشياء وابتدعها ابتداءً من غير سابق مثال. (2)
- الاستئناف والالتفاف: الابتداء، يقال: استأنف العمل وائتفه. وأصله من أنف، وأنف كل شيء: أوله، ويقال: هذا أنف الشَّد: أي أول العَدْوِ. (3)

الابتداء اصطلاحاً:

لم يُعرّف الابتداء اصطلاحاً في باب الوقف والابتداء -فيما اطلعت عليه- إلا بعض العلماء ؛ لأنه يُطلب من القارئ حال الابتداء ما يطلب منه حال الوقف، فلا يكون الابتداء إلا بكلام مستقل موفٍ بالمقصود.

فعند الجعبري: "الابتداء: لفظك بكلمة منفصلة الزمان. (4)"

قال ابن الجزري: "كل ما أجازوا الوقف عليه أجازوا الابتداء بما بعده. (5)"

وعند الصفاقسي: "الابتداء هو الشروع في الكلام بعد قطع أو وقف. (6)"

وعند المرصفي "الابتداء في عرف القراء: هو الشروع في القراءة بعد القطع أو الوقف. (7)"

ويُفهم من هذه التعريفات أن الابتداء نوعان:

الأول: ابتداء بعد قطع، وهو إما أن يكون في أول القراءة ابتداءً، أو يكون بعد إعراض ثم الرجوع إلى القراءة.

الثاني: ابتداء بعد وقف، وهذا يكون في أثناء القراءة ووسطها. (8)

ومما سبق بيانه يمكن أن نعرف علم الوقف والابتداء معاً بأنه:

(1) وهي في: سورة الأعراف [آية:29]، سورة التوبة [آية:13]، سورة يونس [آية:4، وآية:34]، سورة يوسف [آية:76]،

سورة الأنبياء عليهم السلام [آية:104]، سورة النمل [آية:64]، سورة العنكبوت [آية:19، وآية:20]، سورة

الروم [آية:11، وآية:27]، سورة السجدة [آية:7] سورة سبأ [آية:49]، سورة البروج [آية:13].

(2) ينظر: لسان العرب لابن منظور: 26/1، والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية: 42/1.

(3) العباب الزاخر للصغاني: 33، 39.

(4) وصف الاهتداء للجعبري: 119.

(5) النشر لابن الجزري: 234/1.

(6) تنبيه الغافلين للصفاقسي: 128.

(7) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري للمرصفي: 392./1.

(8) بغية عباد الرحمن للغول: 111، والاختلاف في وقوف القرآن للسنيدي: 431.

علم يُعرّف به القارئ كيفية الوقف والابتداء، والمواضع التي يصلح الوقف عليها والمواضع التي يصلح الابتداء بها وما لا يصلح من ذلك كله. (1)

هذا والمشهور عند العلماء مصطلحات أربعة للوقف والابتداء: (2)

الوقف التام: وهو الوقف على كلام تم معناه وليس متعلقاً بما بعده لا لفظاً ولا معنى.

الوقف الكافي: وهو الوقف على كلام تم معناه وتعلق بما بعده معنى لا لفظاً.

الوقف الحسن: وهو الوقف على كلام تم معناه وتعلق بما بعده لفظاً ومعنى.

الوقف القبيح: وهو الوقف على كلام لم يتم معناه ولم يُفهم منه المراد؛ لتعلقه بما بعده لفظاً ومعنى.

المبحث الثالث

مصادر الوقف والابتداء عن الإمام أبي حاتم السجستاني ومعالم منهجه ومصطلحاته

المطلب الأول: أشهر المصادر التي نقلت مسائل الوقف والابتداء عن الإمام أبي حاتم.

- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، لابن الأنباري، (ت: 328هـ). (3)

- القطع والائتناف، لأبي جعفر النحاس، (ت: 338هـ). (4)

- المكتفى في الوقف والابتداء، لأبي عمرو الداني، (ت: 444هـ). (5)

- المرشد في الوقوف على مذاهب القراء السبعة وغيرهم من باقي الأئمة القراء والمفسرين، لأبي محمد العماني (توفي بعد 500هـ). (6)

- الوقف والابتداء، لأبي الحسن بن غزّال، (ت: 516هـ). (7)

- علل الوقوف، للسجاوندي، (ت: 560هـ). (8)

- الهادي في معرفة المقاطع والمبادي، لأبي العلاء الهمداني (ت: 569هـ). (1)

(1) انظر: مقدمة تحقيق المكتفى للداني: 48، ووقف القرآن وأثرها في التفسير للطيار: 18-19.

(2) انظر: المكتفى للداني: 140-148، والنشر لابن الجزري: 1/229-225.

(3) تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1390هـ.

(4) تحقيق: الدكتور أحمد خطاب العمر، 1398هـ، وتحقيق للدكتور: عبد الرحمن المطرودي، 1413هـ.

(5) دراسة وتحقيق: الدكتور: يوسف المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1407هـ.

(6) حُقق في رسالتين علميتين في جامعة أم القرى، قسم الكتاب والسنة، عام 1423هـ.

(7) رسالة دكتوراه لعبد الكريم العثمان، إلى نهاية سورة الكهف، الجامعة الإسلامية بالمدينة، عام 1409هـ.

(8) تحقيق الدكتور: محمد عبد الله العيدي، مكتبة الرشد بالرياض، 1415هـ.

- التنبهات على معرفة ما يخفى من الوقوفات، للزواوي (ت: 681هـ). (2)
 - الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء، للنكراوي، (ت: 683هـ). (3)
 - وصف الاهتداء في الوقف والابتداء، للجعبري، (ت: 732هـ). (4)
 - منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، للأشموني (من علماء القرن الحادي عشر). (5)
- المطلب الثاني: معالم منهجه في الوقف والابتداء.**

قبل ذكر معالم منهج الإمام أبي حاتم في كتابه يحسن أن نذكر مقارنة يسيرة بين كتب الوقف والابتداء فنقول: إن علماء الوقف والابتداء من المتقدمين كأمثال الإمام أبي حاتم -رحمه الله- وغيره، نجدهم لم يتقيدوا باصطلاحات تنضبط في جميع المواضع التي ذكروها، ولذلك وقع الخلاف بينهم في وصف الوقف في الموضوع الواحد، كأن يعبر أحدهم بـ(الحسن)، وعند غيره (تام) أو (كافي).

وعلماء الوقف والابتداء تفننوا في التقسيمات والتفريعات، وذهبوا مذاهب شتى، ترجع كلها إلى وادٍ واحد، وإن اختلفت الأسماء والمصطلحات، فحينئذ لا مشاحة في الاصطلاح؛ لأن الناظر إلى هذه المصطلحات يجد المعاني متقاربة، مع اختلاف المباني أحياناً، قد اعتمد بعضها على بعض ترجع إلى أصل واحد. (6)

وأما توجيه مواضع الوقف والابتداء، فإن أبا حاتم لم يتعرض كثيراً بذكر التوجيهات، وكان منهجه في ذلك الاختصار، وذكر توجيهات لمواضع يسيرة رأى أنه لا بد أن يوجهها حتى يُبين رأيه في المسألة بوضوح، وهذا المنهج سار عليه كثير من العلماء.

بينما نجد غيرهم من العلماء من يذكر توجيهات وتفريعات لمواضع الوقف والابتداء، كأمثال أبي جعفر النحاس وغيره.

النقل من كتاب (المقاطع والمبادئ لأبي حاتم):

¹رسالة دكتوراه لسليمان الصقري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، كلية الدعوة وأصول الدين، عام 1411هـ.

² بحث ماجستير لعبد السلام مفتاح الفطيسي، جامعة عمر المختار بجمهورية ليبيا، كلية الآداب، عام 2005م-2006م.

³ رسالة دكتوراه مقدمة من مسعود أحمد إلياس، الجامعة الإسلامية بالمدينة، شعبة القراءات، عام 1413هـ.

⁴ تحقيق: فرغلي سيد عرباوي، 1433هـ، وحقق في رسالة ماجستير لنواف معيض الحارثي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، كلية الدعوة وأصول الدين، عام 1426هـ.

⁵ تحقيق: عبد الرحيم الطهوني، الناشر: دار الحديث - القاهرة، مصر، عام النشر: 2008م

⁶ ينظر: مقدمة تحقيق د. محسن هاشم درويش لكتاب علل الوقوف للسجاوندي ص: (30-32).

بين كتب الوقف والابتداء التي نقلت عن الإمام أبي حاتم تبايناً في نقل النصوص، ولعل سبب الخلاف هو النقل للنص صراحة تارة، أو النقل دون تصريح تارة أخرى، كما فعل أبو جعفر النحاس في كتابه: (القطع والائتلاف)، وكذا الإمام الداني في كتابه: (المكتفى).

وكان العماني في كتابه: (المرشد)، ينص على مطالعته كتاب (المقاطع والمبادئ لأبي حاتم)، وينقل عنه مباشرة، وأحياناً ينقل عنه دون تصريح، كأن يقول: "ذكره، أو ذكره، قاله... الخ، وقد ذكر في مقدمته أنه سار على شرط ما ذكره أبو حاتم وأبو بكر ابن الأنباري، واقتدى بهما في الإملاء على ما ذكره (1). وربما انفردت مصادر أخرى عن غيرها في بعض المواضع، ككتاب: (التنبيهات) للزواوي. ومن المصادر ما تنقل عنه للرد على أقواله في الوقف والابتداء، فمن ذلك كتاب: (الإيضاح) للإمام ابن الأنباري، وهو أكثر من انتقد على أبي حاتم في اختياراته لمواضع الوقف والابتداء، وقد انتصر الإمام العماني لأبي حاتم، ورد على ابن الأنباري في أكثر المواضع. والخلاف الواقع بين علماء الوقف والابتداء هو في تسمية الوقف، وليس في جواز الوقف وصحته، أو منعه، إلا القليل من المواضع؛ إذ القصد من ذلك بيان أن هذا الموضوع يصلح للوقف، لاحتتماله وجهاً من أوجه الإعراب، أو معنى من معاني الآية.

أهم معالم منهجه:

وبعد النظر في مواضع الوقف والابتداء عن أبي حاتم واختياراته، يمكننا أن نرسم معالم منهجه في نقاط:

- 1- استعراض مواضع الوقف والابتداء على ترتيب سور القرآن الكريم من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس.
- 2- الاعتناء ببعض المسائل والتفصيل فيها، كما في مسألة (كلاً)، ومسألة جواز الوقف على كل حرف من الحروف المقطعة.
- 3- الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، وبآثار الصحابة والتابعين.
- 4- مناقشة الأقوال باختصار، ثم التعقيب عليها، وبيان رأيه في المسألة.
- 5- النقل عن المفسرين دون عزو الأقوال، ويكتفي بقوله: قال أهل التفسير، أو: قال بعض المفسرين، وكان مُقْبَلًا في النقل عنهم باختصار.
- 6- الاعتناء برؤوس الآي.
- 7- بيان معاني بعض الآيات التي يستعين بها على تقرير الوقف باختصار.
- 8- مراعاة الإعراب عند الوقف والابتداء.

(1) ينظر: مقدمة كتاب المرشد للعماني ص: (1-2).

9- العناية بالقراءات المتواترة أو الشاذة، والإشارة إلى أثر القراءات في الوقف والابتداء دون عزوها.

10- قد لا يصرح بحكم الوقف في بعض المواضع، ويكتفي بقوله: "الوقف...".

11- ربما وصف موضع الوقف بأكثر من وصف، فيجمع بين مصطلحين في موضع واحد.

12- ذكر توجيهاً يسيراً لمواضع الوقف والابتداء باختصار.

13- التنبيه على عدم صحة الوقف في بعض المواضع.

المطلب الثالث

مصطلحات الوقف والابتداء عند الإمام أبي حاتم رحمه الله

لم تذكر المصادر التي نقلت مسائل الوقف والابتداء عن أبي حاتم مصطلحاته، ولكن أورد الإمام أبي عبد الله الأندلسي في كتابه (الإيضاح في القراءات العشر) نصوصاً صريحة يمكن أن نحدد مصطلحات أبي حاتم في الوقف والابتداء، وهذه النصوص على النحو الآتي:

النص الأول: قال أبو حاتم: "وينبغي للقارئ إذا قرأ أن يفهم ما يقرأ، ويشغل قلبه وذمته به، وأن يقرأه الله - تعالى - ويتفكر في مذهبها، ويفقد مقاطعه ومبادئه، وأن يحرص على أن يفهم المستمعين في الصلاة وغيرها، وأن يكون وقف على كلام تام، أو مستغن حسن، وأن يكون ابتداءه أيضاً حسناً". (1)

النص الثاني: قال أبو حاتم: "من المقاطع الوقف التام، والوقف المفهوم وهو الكافي، والوقف الصالح وهو الحسن، لأنه لا يقدر الإنسان أن يبلغ كلاماً تاماً في كل مكان". (2)

النص الثالث: قال أبو حاتم: "لا يمكن القارئ وإن كان طويل النفس أن يقف على تمام الكلام، ولا على الكافي في كل مكان، ولكن يتوحي الحسن المفهوم و تتجنب الناقص القبيح، فإن انقطع نفسه عند كلمة ناقصة أو وحشية الوقف أو المبتدأ نحو قوله: {عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (87) وَقَالُوا} [مريم: 87-88] أعاد فقال: وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا [مريم: 88] حتى يحسن". (3)

النص الرابع: قال أبو حاتم: "ومن الوقف وقف البيان، كقوله تعالى: {وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ} [عافر: 28] فهذا وقف البيان لا بالتمام ولا بالكافي، ومن قال: إنه لم يكن من آل فرعون إنما أراد رجل مؤمن ثم

(1) الإيضاح في القراءات العشر للأندلسي: 635.

(2) المصدر السابق: 635.

(3) المصدر السابق: 635.

قال: {مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ} [غافر: ٢٨] أي: يكتُمُ إيمانه من آل فرعون، وهو أيضاً وقف بيان... (1).

النص الخامس: قال أبو حاتم: "ومن الوقف وقف التذکر، وهو أن يكون القارئ يقرأ فيقول: {الْحَمْدُ لِلَّهِ} [الفاحة:1] ولا يدري ما بعده، فيمد فيقول: (الحمدُ) (2).
النص السادس: قال أبو حاتم: " أكثر أواخر الآي من أول القرآن إلى آخره تام أو كاف أو صالح، إلا الشيء بعد الشيء (3)."

فهذه النصوص الصريحة يظهر لنا جلياً مصطلحات الإمام أبي حاتم في الوقف والابتداء على النحو الآتي:

- 1- الوقف التام أو التمام.
 - 2- الوقف الكافي ويطلق عليه المفهوم.
 - 3- الوقف الحسن، ويطلق عليه الصالح أو المفهوم.
 - 4- الوقف الناقص، وهو الوقف القبيح.
 - 5- وقف البيان.
 - 6- وقف التذکر.
- ومن خلال تتبع المصادر التي نقلت عنه الوقف والابتداء هناك مصطلحات أخرى وردت عنه أيضاً وهي:
- 7- الوقف الجيد (4).
 - 8- الوقف الصالح (5).
 - 9- الوقف الحسن الشبيه بالتمام (6).
 - 10- الوقف الجائز (7).
 - 11- الوقف الجامع (8).
 - 12- ما ورد عنه أنه (وقف) دون بيان نوعه (1).

(1) الإيضاح في القراءات العشر للأندراپی، 667.

(2) المصدر السابق: 667.

(3) المرشد للعماني: 12/1.

(4) القطع والائتناف للنحاس: 455.

(5) المرشد للعماني: 384/2.

(6) المصدر السابق: 370/2.

(7) المرشد للعماني: 18/1.

(8) القطع والائتناف للنحاس: 636.

13- أن يعبر بقوله: ليس بوقف، أو لا أستحسن أن أقف.⁽²⁾

والناظر في هذه التقسيمات يتضح له أن الإمام أبا حاتم لم يجعل لكل قسم مرتبة يميّز بعضها عن بعض، ويظهر هذا جلياً في الوقف الحسن، والصالح، والجيد، الذي جاء عنده بمعنى الكافي، أو بمعنى التام أحياناً. وجاء عند الإمام العماني في المرشد ما يؤيد ذلك، بعد أن ذكر هذه التقسيمات، حيث قال: " وهذه الألقاب استعملها أبو حاتم في كتابه، ولم يجعل كل لقب منها مقصوداً على معنى بعينه، ولكنه قصد سائر الألقاب معنى واحداً، وهو أن الوقف يصلح في ذلك الموضع الذي يعبر عنه بلقب من هذه الألقاب، فأما نحن فقد ميّزنا بينها ورتبناها مراتب وجعلنا لها منازل.⁽³⁾" هذا، ولم يتعرض الإمام أبي حاتم لجميع مواضع الوقف والابتداء في القرآن الكريم، وما اختاره قدر لا بأس به. **منهج الإمام أبي حاتم - رحمه الله - في رؤوس الآي:**

يلاحظ أنه سار على منهج المتقدمين في هذا العلم، وهو الاقتصار على الوقوف التي تكون في أواسط الآي، ولم يتعرض لغيرها من الفواصل إلا اليسير منها؛ وذلك نظراً لانتهاه المقاطع عليها. فقد ذكرنا نصاً صريحاً عنه في هذا فقال: " أكثر أواخر الآي من أول القرآن إلى آخره تام أو كاف أو صالح، إلا الشيء بعد الشيء.⁽⁴⁾"

وضح العماني قوله: (إلا الشيء بعد الشيء) فقال: " وهذا الاستثناء هو ما ذكرته لك... ". يقصد قوله: " وفي القرآن كثير من رؤوس الآي لا يحسن الوقف عندها، وأكثرها ما يكون في السور ذوات الآي القصار؛ كسورة مريم، وطه، والشعراء، والصفات، ونحوها... ومثله الزخرف قوله: {وَلِيُبَيِّنْهُمْ} [الزخرف:34] هي رأس آية وليس بوقف؛ لأن قوله: ث ب ث [الزخرف:35] منصوب بالعطف على ما قبله، ولم يكثر المعطوفات هاهنا فيتجاوز فيه؛ لطول الكلام بما فإن وقف على قوله: ث ب ث تم الكلام وحسن الوقف عليه، ومن هذا في القرآن كثير ذكرتُ نبدأً منه ليقاس عليه.⁽⁵⁾" والله تعالى أعلى وأعلم.

(1) المصدر السابق: 465.

(2) المصدر السابق: 706.

(3) المرشد للعماني: 12/1-13.

(4) المرشد للعماني: 12/1.

(5) المرشد للعماني: 12-11/1.

الخاتمة

أحمد الله تبارك وتعالى على تيسيره وإعانتته إتمام هذا البحث، والذي أرجو أني قد حققت أهدافه، وبينت مراده للقارئ.

وقد ظهرت مكانة الإمام أبا حاتم السجستاني، ويُعدُّ من أوائل المصنفين في باب الوقف والابتداء، وله سبق أيضاً في استعمال المصطلحات المشهورة في هذا الباب، وله اختيارات انفراد بها عن غيره، وأفاد منه من جاء بعده من العلماء، ونقلوا أقواله من كتابه (المقاطع المبادئ)، وكان متوسطاً في تعيين المواضع، وكان يراعي في تعيين المواضع المعنى والإعراب والقراءات.

ولم يتعرض لجميع المواضع التي يجوز للقارئ أن يقف عندها، والقدر الذي ذكره لا بأس به، حيث بلغ عدد المواضع التي عيّنها للوقف والابتداء (1800) موضعاً تقريباً وذلك من خلال التتبع والاستقراء. هذا والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه.

المصادر والمراجع

- أخبار النحويين البصريين: للحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، أبو سعيد (المتوفى: 368هـ) تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي مكتبة مصطفى الباي الحلبي، عام 1373 هـ.
- الاقتداء في الوقف والابتداء: لأبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر النكزاوي، رسالة دكتوراه مقدمة من مسعود أحمد إلياس، الجامعة الإسلامية بالمدينة، شعبة القراءات، عام 1413 هـ.
- الاختلاف في وقوف القرآن الكريم: رسالة ماجستير لعادل بن عبد الرحمن السنيد، جامعة الإمام محمد بن سعود، عام 1434 هـ. الناشر: كرسي القرآن الكريم وعلومه بجامعة الملك سعود 1436 هـ.
- أساس البلاغة: لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة: لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: 646هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - الطبعة الأولى، 1406 هـ - 1982 م.
- إيضاح الوقف والابتداء: ل محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: 328هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، عام 1390 هـ.
- الإيضاح في القراءات: لأحمد بن أبي عمر الأندراي (المتوفى بعد 500هـ)، تحقيق: منى عدنان غني، عام 1423 هـ.

- بغية عباد الرحمن لتحقيق تجويد القرآن في رواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية: تأليف: محمد بن شحادة الغول، الطبعة: الثامنة 1423هـ، دار ابن عفان - القاهرة، دار ابن القيم - الدمام.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل، طبعة المكتبة العصرية.
- الثقات: لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، (المتوفى: 354هـ) طبعة وزارة المعارف الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان دائرة المعارف العثمانية الهند، 1393 هـ
- التنبهات على معرفة ما يخفى من الوقوفات: لعبد السلام بن علي بن عمر الزواوي (المتوفى: 681هـ) رسالة ماجستير لعبد السلام مفتاح محمد الفطيسي، جامعة عمر المختار بجمهورية ليبيا، عام 2005م.
- تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- التعريفات: لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1403 هـ .
- تهذيب الأسماء واللغات: لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) عنيت بنشره شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- تهذيب التهذيب: لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، 1326هـ
- تهذيب اللغة: لمحمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، (المتوفى: 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.
- تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين: للإمام علي بن محمد بن سالم الصفاقسي (ت: 1118هـ) تحقيق محمد الشاذلي، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله.
- تفسير غريب ما في كتاب سيويه من الأبنية: للإمام أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت255هـ)، تحقيق: د. محمد أحمد الدالي، طبعة دار البشائر، سنة 1422هـ.
- زهر الآداب وثمر الألباب: لإبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحصري القيرواني (المتوفى: 453هـ) دار الجيل، بيروت.
- سير أعلام النبلاء: لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن الذهبي (المتوفى: 748هـ)، إشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط. الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ